الفصل الرابع

بدأ دانيال يفيق على سرير وقد جنَّ الليل.. سمع صوت مياه متدفقة.. بدأ يُجمع؛ فعرف أنه في مشفي.. ثبَّت نظره أمامه وبدأت الذاكرة كأنها تنبهه؛ فأخذ في التذكر..

تذكر ما كان يفكر فيه قبل أن يذهب إلى سارة.. وتذكر ما رآه بعد أن ذهب إليها.. تتكون ملامح إعياء وصدٌّ على وجهه؛ فيحدّ عينيه لا يستصيغ أيـاً مما رأى ولا يقبله. وبعد هنيهة؛ أحس بصوت فتح باب.. يبدو أنه باب المرحاض الذي في الغرفة ويظهر أنها سارة.. نظر إليها فتنظر إليه مبتسمة؛ فأخذ يظهر تبسم.. ثم قالت له:

_ كيف حالك؟ إني أفتقدك... _وأخذت تنظر إليه_

وبلطف يحاول الرد عليها.. قال:

_ كيف حالك أنت ؟

وحاول أن يبتعد بعينيه؛ فما زالت رؤيته مشوبة بما حدث. قالت سارة ومازالت ناظرة إليه:

_ علمت بما حدث.. فقد أخبرني المحترم إسحاق.. إلا أنني أخبرته بسبق حالتك عندما كنت عندي.. _ ثم أشارت بيدها ناحية المحترم إسحاق.. وكان واقفاً خارج الغرفة يتحدث مع أحد ما_

دخل المحترم ومبتسماً إلى دانيال قال:

_ كيف هي حالك ؟

أجاب دانيال قائلاً:

_ بخير.... شكراً جزيلاً على اهتمامك أيها المحترم.

كل ذلك وسارة تنظر إلى دانيال.. فوقع دانيال بنظره على عينيها ولكن سرعان ما حال به؛ فما زال الإعياء والغثيان يتمالكه.. غير أن سارة ما زالت تنظر إليه.. ثم مشت ناحيته وقالت:

_ الطبيب قال أنك لربما خرجت في الصباح.._أخذ المحترم بجانبٍ ناحية النافذة_ سأرحل الآن وأراك في الصباح .. اتفقنا؟

قال دانيال:

_ اتفقنا.. مع السلامة... _ لم يكد يسكت حتى قال في استغراب:

_ وهل سترحلين منفردة؟

فنظرت في مودة والضحكة مرتسمة على وجهها قائلة:

_ لا ! صديقتي لربما وصلت الآن أمام المدخل لتُقِلني.. _ومازالت ناظرة إليه_ هل تُريد شيئاً مني؟

ردَّ دانيال عليها مبتسماً:

_أراكِ في الغد!

وعند الباب وعيناها مازالت على دانيال قالت:

_إلى اللقاء أيها المحترم!

فانتبه المحترم ومديراً رأسه نحوها قائلاً:

_ مع السلامة.. _ ثم حال ببصره جانباً_

عمَّ الصمت قليلاً.. المحترم وجهه أمامه من خلال النافذة، ودانيال نبهته كآبة باقية؛ فأخذته.. ومازال ناظراً من النافذة؛ قال المحترم :

_ أترى حينما يكون الإنسان مقتنعاً بشيء كيف يفعل؟

نظر إليه دانيال محاولاً أن يعرف عماذا يتحدث المحترم.. فقال المحترم موضحاً:

_ ما رأيته من زواج اللواطيين !

قال دانيال مستغرباً والإعياء والغثيان باد عليه:

_ مقتنعاً بماذا ؟ ثم هو كيف اقتنع أصلاً ؟ _صمت دانيال وأخذ في بلع لعابه_ ما هذا الذي نتحدث فيه؟

نظر المحترم إلى دانيال وبعد هنيهة قال له:

_ أترى ما رأيت يحدث من أفعال اللواط، ومن رأيتهم يفعلون ما يفعلون؛ أترى كل ذلك يحدث؛ لولا وجود سبب قوي جعلهم يفعلون كل تلك الأفعال، والتي هي أشد الأفعال فُحشاً وشناعة؟

قال المحترم يوضح أكثر:

_ ما كان لكل ذلك أن يحدث؛ لولا أنهم مربوطين فكرياً وجسدياً.. ولولا هذا؛ ما فعلوه.

أغمض دانيال عينه.. وأسند ذقنه إلى صدره وكأن الامر قد ثَقُل عليه.. ثم قال:

_ يبدو أنهم مربوطين بقيدٍ عظيم.. قيد عظيم قد أنساهم أنفسهم فلا إدراك لهم من هم.. ويبدو أن معظم محاولات فك ذاك القيد فاشلة.

يضغط على فكيه وكأن الأفكار تتوارد عليه من كل جانب.. ثم أمسك بسلة بجانب السرير آخذاً في التقيئ.. ثم مشى إلى المرحاض، وبعد فترة خرج ووضع السلة مكانها، وقال للمحترم:

_ كيف حال المحترم إسحاق ؟

المحترم ينظر إليه ثم أخذ يضحك منه؛ إلا أن الحالة العامة مسيطرة.. سكت المحترم هنيهة ثم قال:

_ السبب الذي يجعل من أمر اللواط أمراً عصيباً؛ هو أنه يأتي لأحدهم في تركيبة من تركيبات المشاعر والأحاسيس.. تركيبة يشعرون فيها بأن اللواط أصل فيهم لا يفارقهم.. وعندما تتملك تلك التركيبة منهم؛ فإنها تُغطي وتمحي أي تنبيه وتذكير يُـذَكر أؤلئك اللواطين بأنفسهم.

قال دانيال:

_ أكاد لا أقبل هذا الحديث والخوض فيه من غرابته وعدم موافقته مع ما هو طبيعي.. ولكني رأيت ما رأيت، وسمعت ما سمعت؛ فحطت على صدري ظلمة وضيق.. ما هذا التوهان الذي رأيته؟ _ ظاهر على وجهه ملامح الضيق وعدم القبول_

فقال المحترم مردداً :

_ إنه لتوهان !

عمَّ السكوت قليلاً في الغرفة.. وقطع هذا السكوت؛ صوت طرق على باب الغرفة.. ويظهر أن الطارق؛ هو أحد الأطباء من معارف المحترم إسحاق.. انتبه المحترم له؛ فمشى ناحية الباب قائلاً:

_ تفضل أيها الطبيب يحيى.. كيف حالك ؟ _ومدَّ يده يُسلم عليه_ أعرفك بدانيال!

قال دانيال مبتسماً ومدَّ يده يصافحه:

_ أهلاً بالطبيب يحيى... كيف هي حالك؟

ردَّ الطبيب يحيى :

_ أهلاً سيد دانيال.. أتمنى لك الشفاء العاجل!

قال دانيال:

_ شكراً جزيلاً أيها الفاضل.. وأهلاً بك.

قال المحترم إسحاق وتنبع من وجهه النضارة:

_ ماهي أخبار والدك ؟

ردَّ عليه الطبيب يحيى بتبسم:

_ بخير أيها المحترم والحمد لله.. وهو دائم السؤال عنك.. وهو الآن هنا في المشفي للعلاج.. وقد عَلم بوجودك وينتظر منك أن يُسلم عليك قبل أن يغادر.

قال المحترم:

_ أصحيح هو هنا.. أنت لم تخبرني إلا الآن!

ابتسم الطبيب يحيى؛ فهو يعلم أن المحترم مشغول جداً.. لكن المحترم نفسه لا يبالي بما يشغله.. فها هو قد صاحب دانيال إلى المشفى، وغير ذلك الكثير من الأمور والواجبات.. ولكن كل ذلك لا يشغله.. ثم أجاب الطبيب يحيى:

_ هو ينتظرك الآن بالأسفل أيها المحترم.. _وأشار بيده من أجل الذهاب...

قال المحترم:

_ أجل هيا بنا.. أستئذنك يا دانيال!

أجاب دانيال وليس على خاطره هذا الإستئذان؛ فليست المحادثة التي جرت بين المحترم والطبيب يحيى إلا من قبيل الكلام المسموع لديه.. فقال مادا كفه للأمام ومُقدر الأدب الجم الذي يُظهره المحترم:

_ نعم.. نعم ! تفضلا..

نظر الطبيب يحيى إلى دانيال قائلاً:

_ تشرفنا بمعرفتك يا دانيال.

ردَّ دانيال :

_ الشرف لنا أيها الطبيب يحيى _وصافحه_.. مع السلامة.

نظر دانيال من النافذة.. وكانت توجد حديقة أمام ذلك المشفي الذي هو فيه.. نظر إلى تلك الحديقة وبه ذلك الصمت الذي يأتي بعد كل محادثة.. حيث لا رُسُو في التفكير.. فحاول تجميع فيما كان يفكر؛ إلا أن عدم المبالة يغلبه.

* * *